

الشمس توشك أن تموت

عمر محمد عمر بن طاهر باوزير
ثانوية البيحاني النموذجية
صيرة / م. عدن

يجب أن لا ننسى أبداً أن كل إنسان مجبر على الالتحاق
بتلك المدرسة ؛ أقصد مدرسة الحياة التي ليس فيها
حصص ولا نوافيس والتي لا بد أن تهاجمك يوماً فيها
نوائب الدهر بأنيابها..أهمس في أذن الأرض لأوقظ العالم
النائم.

ظهراً وفي مدينة كأنها مسرح احتشد فيه ألوان من
الناس كنت أمشي وحيداً في شوارع المدينة، وربما
يلحقتني ظلي الكئيب مع عكازه الذي يلتوي على المنازل
التي يمسه... إذ بجنازة تمر أمام عيني فأحسست أن
خطواتي تباطأت وزمجرت الريح و ورقة تطير في
الهواء تصطدم بي فأمسكتها بيدي...لقد كانت ورقة
:-مفكرة قرأت فيها

مارس الأربعاء 21

وقد ترحلت الأيام والليالي المريرة ،وأنا في غرفتي (
أنظر من نافذتي إلى البحر هناك يلعب بالرمال، وأحلم أن
أكون حبة رمل تنزل للموج بفعل بها مايشاء أنا في
غرفتي وفي غربتي وحيدة لا أحد هناك يقول لي كلمة
وفاء أو عزاء قيل أن أموت وتتطوي أيامي ،وما زلت
أستحضر شريط ذكرياتي يمر برأسي وكأنها حدثت كلها
بالأمس ،فأتذكر حين أنجبت طفلي الوحيد كم كانت
تغمرنني الفرحة التي ما لبثت أن تحولت إلى وجوم وكآبة
عند علمي بإعاقته ، وهاهو ذا الصبي ينمو ويكبر والأمل
يحدوني في شفافته،ولم يكن يدرك ابني آلام قلبي لحالته
فكنت ارتشف الهم والآلم طيلة وقتي - فلم أكن أملك
المال الكافي لأتفق عليه وعلى علاجه- لكن إرادتي
ما زالت تحفر صلب جدار الليل نحو النور فخرجت من
. منزلي لأعمل و اتكسب حتى لا تنطفئ الشمس

وفي يوم ما وعند عودتي للمنزل من عملي لم يكن طفلي
موجوداً في المنزل! بحثت عنه في كل مكان ركضت في
أرجاء الشارع كان كل شيء يهتز تحت قدمي ولم أعد
قادرة على الوقوف بعد،ولم أدر سر تلك النكبة التي
تحيط بي من كل جانب،وكانت كل خلجة في أعماقي
تصرخ في: كيف يتحول كل شيء ليسير في غير الطريق
الذي رسمته وبذلت لإنجاهه دمي وأعصابي؟! ترددت

صرخاتي وانتشرت أصداؤها مع نياحي أوقفت ضجيج
السيارات والبشر وعجلة الحياة.كم كنت أطوف بين
المدن وأبحث بين بيوت الرقيق فلم أجد وجه طفلي
البريء،وكم

نزلت إلى ساحات القبور فلم يكن هناك نثار جسده
الصغير.لعل صغيري هوى بين أيدي ذئاب بشرية...
ومازلت لا أعلم أين هو؟! وأتمنى أن أتحوّل إلى طائر
يفرد جناحيه لأحمي طفلي العزيز ففي فوادي قد شاب
دم القهر دم الحياة فامتزجا مكونان صرخات الآتين ،
الشموع والعيون تبكي ويحكي الكون ويشتهي ،ولم يبق
مني إلا رفات جسد دون روح.استيقظت أنا والشمس من
مرقديننا ،وبعد زمن مضى صبغ اللون الأحمر الأفق بعد
سعال شديد ،ويبدو أن الشمس قد أوشكت أن تلتفظ آخر
أنفاسها ومع ذلك مازلت أبحث عن ابني ولم ينفك بالي
يوماً مشغولاً به،وهاهي الأرض تدور ويمضي الزمن
ويطوي القدر الأيام والليالي وتبهت الألوان من حياتي
كنوع من عقاب الجسد والرغبة في الألم.....هبات الريح
تحمل ذرات الرمال وصرخات القلب ترسل صرخات القهر
و الآتين....).وتوقف القلم الناعم ويقع الدم تلطخ
السطور،وماكاد بصري يجول في تلك الورقة إذ بالسماء
تبكي بدمع حار،وتلحقها عيني بدمعها المترقق فاتهمر
دون توقف...لحقت بتلك الجنازة، ودون إرادتي تخطو
قدمي رويداً رويداً ويسمع صوت أقدامي وتقارب الخطو
وأفلتت عكازي وللايد؛ فقد أن الوقت لأضيء أناملي
شموعاً لتتير وتبدد حلقة الليل

وبعد رحيل كل الناس ارتميت على ذلك القبر وأبكي
...وأبكي إنه ليس بكاءً عادياً إنما هو شبيهه بالاغتسال
كإنسان على هامش سلام داخلي -وبصوت يجهد
بالبكاء- :جئت لا أعلم من أين ولكنني أتيت ،ولقد
أبصرت قدامي طريقاً فمشيت لكي أجبر الأيام السابقة
الحزينة على الاعتذار بل لن يكفيني الاعتذار بل سأصر
على تلك الأيام أن تنسحب بكل آلامها وظلالها من
حياتي....أذرف دموعاً ،وأضع وردة بيضاء على القبر
".وأهمس للقبر:-" لقد نجحت معجزتك يا أمي